معنى المحكم والمتشابه عند المفسرين

قال تعالى **(هو الذي أنزل عليك الكتاب، منهُ آياتٌ محكمات، هنَّ أمُّ الكتاب، وأُخرُ متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغٌ يتبعون ما تشابه منه،إبتغاء الفتنةِ وابتغاءَ تأويلهِ،وما يعلمُ تاويلهُ إلّا الله والراسخون في العلم،يقولونَ آمنَّا بهِ كُلٌ من عند ربنا)**آل عمران7. وقال الطباطبائي: أن الآية تقسم القرآن الى محكم ومتشابه، فيجب الإيمان بالمحكم والعمل به، ويجب الإيمان بالمتشابه ولا يجب العمل به.

وقال تعالى**(كتابٌ أحكمت آياته ثمَّ فصلت)**هود1. **والآية** تدل على أن القرآن جميعه محكم.

وقال تعالى**(اللهُ نزّلَ أحسنَ الحديثِ كتابا متشابها مثانيَ تفشعرُّ منهُ جُلودُ الذينَ يَخشَونَ رَبَّهُم)** الزمر23.

وهذه الآية تدل على أن القرآن جميعه متشابه.

وقد إختلف علماء المسلمين كافة، في معنى المحكم والمتشابه، على أقول كثيرة، وإشهر هذه الأقول:

أولا: المحكمات هي الآيات التي معناها المقصود واضح، لا يشابه بالمعنى غير المقصود،فيجب الإيمان والعمل بهذه الآيات، أي ان المحكم ما كان ثابتا في دلالته، لا يشتبه مراده بمراد آخر.

ثانيا: المتشابهات هي الآيات التي معناها الحقيقي المقصود غير واضح، أي يحتمل معان متعددة، والذي قد يُعبّر عنه (بالتاويل). أي المتشابه غير ثابت في دلالته، ويشتبه مع مُراد غيره[1].

وذكر الفخر الرازي: أن (المحكم) ما يسمى في عرف الأصولين بـ(المبيّن). و(المتشابه) ما يسمى في عرفهم بالمجمل. وقال معنى (النص): دلالته اللفظ على معنى بشكل لا يحتمل معنى آخر. ومعنى (الظاهر): دلالته على معنى راجح مع إحتمال معنى آخر. ومعنى (المجمل):ما دلَّ على معنيين بشكل متساو[2].

وهذا المعنى من المحكم والمتشابه، مشهور في المدرسة السنيّة والمدرسة الشيعية، وتعتقد المدرسة الشيعية أن المتشابه لا يعلم تأوله إلا النبي وآل البيت(عليهم السلام)، أمّا عامّة الناس لا يعلمونه، فيرجعون الى معرفته الى الله ورسوله وآال البيت.

شبهة : عرض الطباطبائي شبهة وأجاب عنها:

قال: انّ المقصود بالمتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور، مثل(الم ، الر، حم) لعدم معرفة معانيها الحقيقية.

جواب: ان الآية الأُولى وضعت المتشابهات في قِبال المحكمات،ولازم ذلك ان يكون للمتشابه مدلول لفظي، ولكن هذا المدلول اللفظي الظاهر، يشتبه مع المدلول الحقيقي، بينما الحروف المقطعة لا مدلول لها.

---

[1]- ينظر: القرآن في الاسلام، محمد حسين الطباطبائي، ترجمة احمد الحسيني،مطبعة سبهر،ايران، 1404هـ ق، ص46.
[2]- نقلا عن: علوم القرآن، محمدباقر الحكيم، ص172.

ويؤيّد هذا المعنى، ان أهل الزيغ يسعون الى إضلال الناس من خلال المداليل الظاهريّة المتشابه، وليس بالحروف المقطعة. مضافا الى أنَّ المعروف لدى المفسرين أن التأويل(وما يعلم تأويله...) لم يختص بالمتشابهات بل يشمل المحكمات أيضا.

أُسلوب أهل البيت في المحم والمتشابه: ورد عن أهل البيت(عليهم السلام) ما يدلّ على إستحالة وجود متشابهات لا يمكن إرجاعها الى مداليلها الحقيقية من خلال إرجاعها الى المحكمات القرآنيّة، مثل قوله تعالى(الرحمنُ على العرش إستوى)طه5. وقوله تعالى(وجاءَ رُّبكَ)الفجر22. التي تدل على الجسميّة والماديّة، فإذا أرجعناها الى قوله تعالى(ليس كمثله شيء)الشورى11. علمنا أن الإستواء والمجيء ليسا بمعنى الإستقرار في المكان أو الإنتقال من مكان الى مكان آخر. ومن هنا قال النبي(صل الله عليه واله) واصفا للقرآن(أن القرآن لم ينزل ليذب بعضه بعضا، ولكن نزل ليصدق بعضه بعضا، فما علمتم فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به)[3]. وقال الامام علي(عليه السلام): (يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض)[4].

وقال الصادق(عليه السلام) :(المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله)[5].

وقال الرضا(عليه السلام): (من ردَّ متشابه القرآن الى محكمه هدي الى صراط مستقيم... إنّ في أخبارنا متشابها كمتشابه القرآن، فردوا متشابهها الى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها فتضلوا)[6].

ومن جميع تلك الروايات نعلم ان الآيات المتشابهات، هي التي لا تستقل في مدلولها، بل لا بد من ردّها الى الآيات المحكمات، والنتيجة أنه لا توجد أية في القرآن لا يمكن معرفة معناها بطريقٍ من الطرق.

---

[3]- الدر المنثور، جعفر الاعرجي،ج2، ص8.
[4]- نهج البلاغة، خطبة 131.
[5]- تفسير العياشي، ج1، ص162.
[6]- عيون اخبار الرضا، ج1، ص290.